مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i3.294

ظاهرة الخوض في آيات الله بغير علم بشمال نيجيريا: الأسباب والآثار

الباحثان:

١- الدكتور أبوبكر محمّد الثّاني، الأستاذ المُشَارِك بقِسمُ الدّراسات الإسلاميّة والتّربية كلّية التّربية جامعة دُوتْسِي الفِدرَاليّة، وِلَاية جِغَاوَا – نيجيريا.

البريد الالكتروني: absani@gmail.com

٢- الدّكتور شمس الدّين لَوَنْ يحيى، الأستاذ المُسَاعِد بقِسمُ الدّراسات الإسلاميّة والتّربية–كلّية التّربية جامعة دُوتْسِي الفِدرَاليّة، وِلَاية جِغَاوَا – نيجيريا.

البريد الالكتروني: shamsu.lawan@fud.edu.ng

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (١٩ شعبان ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (٢٨ شعبان ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١٥ رمضان ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٩ رمضان المبارك ١٤٤٧)

الملخص: يعدّ التعامل مع كلام الله تعالى بحذر وعِلم من أهمّ واجبات المُسلم لِمَا له من تأثير بالغ على الفرد والمجتمع، ومعرفة آيات الله تعالى وفَهمِها من أصول الدّين التي لا غِنى عنها للمسلم؛ فهي سبيله لِفهم العقيدة الصّحيحة والسّلوك القويم، لهذا جاء البحث يتناول ظاهرة الخوض في آيات الله بغير علم من قِبَل شخصيات مُتَعالِمة غير مؤهّلة بشمال نيجيريا، بوصفها مشكلة فِكريّة ودعويّة ذات أبعاد دينيّة واجتماعيّة خطيرة، والتي تستوجب التصدّي عليها من خلال التربية العلميّة، والرّقابة الشرعيّة، والوعي المجتمعي. يهدف المقال إلى إبراز خطر هذه السجيّة من بعض الدّعاة في الآونة الأخيرة في شمال نيجيريا (بِلَادُ الهَوسَا)، موضّحا في ذلك مفهومها، نشأتها، أسباب فُشوّها، وبيان مَدى تأثيرها في تحريف الكلم عن مواضعه، مع الكشف عن وسائل محاربتها، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التّحليلي من خِلال عرض النّصوص الشّرعية، وتحليل الواقع الدّيني والاجتماعي في شمال نيجيريا. توصّلت الدّراسة إلى أنّ الله تعالى حرّم في كتابه الكريم الخوض في آيات الله والقول عليه بلا عِلم، وأمر بالإعراض عن الخائضين حتى يَنتَهوا من فعلهم الشّنيع، وأنّه يتولّد من هذه الظّاهرة آثار سلبيّة مُرِيعة، تنذر بِخَراب سوق العلم، وتهدّد مستقبل الإسلام بالفساد والبدع. ومن التّوصيات المهمّة للدّراسة وجوب نشر التّعليم الشرعي الصّحيح من قِبَل العلماء المؤهّلين ودَعمهم، وضبط المحتوى الدّيني في وسائل الإعلام ووسائل التّواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الآثار، آيات الله، الأسباب، بغير علم، الخوض، شمال نيجيريا، ظاهرة.

The Phenomenon of Misrepresenting Allah's Verses in Northern Nigeria: Causes and Repercussions

ABSTRACT Dealing with the words of Almighty Allah with caution and knowledge is among the most important duties of a Muslim, given its profound repercussions on both the individual and society. Understanding and knowing Allah's verses is a fundamental principle of the faith, essential for Muslims to grasp sound doctrine and righteous conduct. This research addresses the phenomenon of individuals in northern Nigeria who engage in interpreting Allah's verses without proper knowledge. It examines this as a serious intellectual and religious problem with significant social and religious dimensions, requiring a comprehensive approach that includes scholarly education, legal oversight, and community awareness. The article aims to highlight the dangers of this tendency among some preachers in recent times in northern Nigeria (Hausa region). It explores the concept and origins of this phenomenon, the causes of its spread, and its repercussions in distorting the meaning of the Quran. Furthermore, it proposes methods for combating this phenomenon. The researchers used an analytical descriptive approach by presenting legitimate texts and analyzing religious and social reality in northern Nigeria. The study concluded that Almighty Allah has forbidden in His Holy Book delving into His verses and speaking about them without knowledge, and has commanded turning away from those who engage in such activities until they cease their reprehensible actions. It also found out that this phenomenon generates dire negative consequences, threatening the very foundations of knowledge and endangering the future of Islam with corruption and innovation. Among the study's key recommendations is the necessity of disseminating sound Islamic education by qualified scholars and supporting them, as well as regulating religious content in the media (both social and mainstream) platforms.

Keywords: Allah's Verses, Causes, Misrepresenting, Northern Nigeria, Phenomenon, Repercussions.

المقدمة:

الحمد لله الذي حرّم في كتابه الكريم الخوض في آيات الله والقول عليه بِلا عِلم، وأمر بالإعراض عن الخائضين حتى ينتهوا من فعلهم الشنيع، وسمّاهم (الظّالمين)؛ فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١]، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فلقد تصدّى كثير من الدعاة لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى بين العامة، لا سِيَمَا في شهر رمضان المبارك؛ لذا اختلف أصناف المفسرّين منهم: من حباهم الله بسطةً في العلم، وجرأةً في الصّدع بالحقّ، وكشف الحقائق، ومنهم الخائضون في كلام الله بغير عِلم دون أدنى شعور بالحَرَج أو التخوّف، وأكثرهم غير مؤهّلين لذلك؛ بل منهم من لا يُقيم جُملة عربيّة صحيحة، وهو عريٌّ تمامًا عن سائر العلوم الشرعيّة، مع ذلك تجده يخوض في تفسير كتاب الله تعالى دون أدنى تأنيب للضّمير، أو استحضار لعظمة كلام الربّ جلّ وعَلا، فما هي إلا أصوات تمجّها الأسماع، ويكاد المرءُ يُصاب من أجلها بالغثَيان، يضربون آيات القرآن بعضها ببعض، ويلبسون الحقّ بالباطل ويكتمون الحقّ، وهم طوائف شتّى، ومذاهب مُتَباينة، وبعضهم يَنشرون البِدع والخُرافات بتحريف الغالين وانتحال المُبطِلين وتأويل الجاهلين، وبعضهم اتّخذه طريقة لنشر الأساطير وانتحال الأكاذيب طلبًا للشّهرة، وابتغاء للعلوّ في الأرض بغير الحقّ، وآخرون منهم يَتكَسّبون به، ويسألون الناس بدلًا من سؤال ربّ الناس، وهكذا.

أهمّية البحث:

إبراز خُطورة القول في آيات الله بغير عِلم، وتوعية المجتمع بأهمّية الرُّجوع إلى أهل العِلم، والمسامهة في تصحيح الفهم الدّيني في شمال نيجيريا.

أهداف البحث:

توضيح مفهوم الخوض في آيات الله بغير عِلم، وتحليل أسباب انتشار هذه الظاهرة في شمال نيجيريا، مع بيان آثارها الدينيّة والاجتماعيّة، واقتراح حلول عِلميّة وعَمليّة لمعالجتها.

مشكلة البحث:

تتمثّل مشكلة البحث في انتشار تفسيرات فرديّة غير عِلميّة للقرآن الكريم في شمال نيجيريا، وما يترتّب عليه من سُوء فَهَمِ النّصوص الشرعيّة، وظهور أفكار متطرّفة ومُنحَرِفة.

[١]– سورة الأنعام، رقم الآية: ٦٨.

أسئلة البحث:

١. ما معنى الخوض في آيات الله بغير علم؟
٢. متى نشأت ظاهرة الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا؟.
٣. ما هي أسباب فُشو ظاهرة الخوض في آيات الله بغير علم؟.
٤. هل لظاهرة الخوض في آيات الله بغير علم آثار؟.
٥. كيف يتمّ محاربة ظاهرة الخوض في آيات الله بغير علم؟.

الدراسات السابقة:

١. الدّكتور محمّد الثّاني عُمر موسى، التّبصير لمجالس التّفسير، ط: ٢، كَنُو–نيجيريا: مركز الإمام البخاري للأبحاث والتّرجمة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٢. الدّكتور آدم عثمان النَّنْغِرِيّ، التّفسير في شمال نيجيريا نشأتُه وتطوّرهُ من القرن الثّاني عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، ط: ١، نيجيريا: جامعة أحمد بَلُّو زَارِيَا، ١٣٣١هـ/٢٠١٩م.
٣. إسماعيل الحاج إدريس، التّفسير في كنو، جامعة بَايَرُو كَنُو، نيجيريا–قِسم الدّراسات الإسلاميّة، ١٩٨٦م.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التّحليلي من خِلال عرض النّصوص الشّرعية، وتحليل الواقع الدّيني والاجتماعي في شمال نيجيريا.

خطّة البحث:

يتألّف المقال من مقدّمة وستة مباحث وخاتمة؛ وذلك على النّحو التّالي:

المبحث الأول: مفهوم الخوض في آيات الله بغير عِلم.

المبحث الثاني: نشأة ظاهرة الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا.

المبحث الثالث: أسباب فُشوّ الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا.

المبحث الرابع: نماذج الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا.

المبحث الخامس: آثار الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا.

المبحث السادس: وسائل محاربة الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا.

الخاتمة: وتشمل على أهمّ النّتائج التي توصّل إليها البحث وطائفة من التّوصيات.

المبحث الأول: مفهوم الخوض في آيات الله بغير علم:

الخوض لغة: "هو الدّخول في الشّيء بغير تروّ أو تمهّل. ويقال: "خاض في الماء" أي دخل فيه، "وخاض في الأمر" أي تدّخل فيه دون حكمة أو معرفة دقيقة"[١].

واصطلاحا: "الحديث عن معاني القرآن الكريم أو تفسيره من دون التزام بضوابط عِلميّة، مِثلُ إتقان اللّغة العربيّة، معرفة أسباب النّزول، الرّجوع للسُّنة النّبويّة، وعدم فهم التّراث التّفسيري المعتبر"[٢].

حذّر القرآن الكريم من القول على الله من دون عِلم، فقال تعالى:﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وهذا التّحذير يوضّح أنّ الخوض في آيات الله بغير عِلم مَعصِية عظيمة، لأنّها تتعلّق بالحقائق الإلهية التي لا يجوز الاجتهاد فيها إلا بالعلم الشّرعي الثّابت.

ومن صُوَر القول على الله تعالى بِلَا عِلم: تحريف كلام الله تعالى؛ وهو على ثلاثة أنواع:

١- نِسبة كلامٍ لم يَقُله الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٤].

٢- لَيُّ اللّسان بالكلام لإيهام السّامع أنّه كلام الله وهو ليس من كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥].

٣- تأويل كلام الله تعالى وصَرفه عن حقيقته بغير دليل، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٦].

---

[١]- ابن منظور، محمّد بن مكرم بن عليّ الأنصاري، ١٩٩٩م، لِسَان العرب، ط: ١، القاهرة: دار الفكر، ٢: ٣٦٧.

[٢]- أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، ٢٠٠٥م، مقدّمة في أصول التّفسير. تحقيق: مساعد بن سليمان الطيّار، ط: ١، القاهرة: دار ابن الجوزي، ص: ٢٥.

[٣]- سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

[٤]- سورة البقرة، الآية: ٧٩.

[٥]- سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

[٦]- سورة آل عمران، الآية: ٧.

ومن صُوَرِ القول على الله تعالى بلَا علم: تفسير القرآن بالرّأي والهَوَى، قال الرّسول صلّى الله عليه وسلم:« ومن قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النّار»[١].

كثيرٌ من السّلف الصّالح من الصّحابة والتّابعين مع غوارة عِلمهم، وجودة قرائحهم، واستقامة لُغَتِهم، يَهابُون الخوض في تفسير كلام الله، ويعظّمون القول فيه خشية القول على الله بِلَا عِلم، فقد حرّم الله تعالى في كتابه الكريم الخوض في آيات الله والقول عليه بِلَا عِلم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٤].

فَعَن إبراهيم التّيمي؛ أنّ أبا بكر الصّديق رَضِي الله عنه سُئِل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٥]، فقال: «أيّ سماء تُظِلُّني، وأيّ أرض تُقِلُّني؟ إذا قُلتُ في كتاب الله ما لا أعلم»[٦].

أخرج الطّبري بسند صحيح عن الوليد بن مُسلم، قال: «جاء طلق بن حبيب إلى جُندُب بن عبد الله، فسأله عن آيةٍ من القرآن؟ فقال: أحرّج عليك إن كنتَ مُسلما إلا ما قمتَ عنّي، أو قال: أن تُجَالسني»[٧].

وأخرج ابن جرير الطّبري بسند صحيح عن عُبيد بن عبد الله بن عمر، قال: « لقد أدركتُ فُقهاء المدينة، وإنّهم ليعظّمون القول في التّفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمّد، وسعيد بن المسيّب، ونافع»[٨].

وقال هِشام بن عُروة بن الزّبير: «ما سمعت أبِي يتأوّل آية من كتاب الله قطّ»[٩].

---

[١]– التّرمذي، سُنَن التّرمذي، رقم الحديث: ٢٩٥١، ٥: ٦٦، وقال هذا حديث حسن.

[٢]– سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

[٣]– سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

[٤]– سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

[٥]– سورة عبس، الآية: ٣١.

[٦]– ابن أبي شيبة، مصنّف ابن أبي شيبة، رقم الحديث: ٣٠٧٣١، ١: ٢٤٤. وقال ابن كثير: وهذا منقطع.

[٧]– الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، رقم الأثر: ٩٩، ١: ٨٤.

[٨]– الطّبري، المرجع السابق، رقم الأثر: ٩٦، ١: ٣٩.

[٩]– الهَرَوِي، أبو عبيد القسم بن سلام، ١٤٢٠هـ، فضائل القرآن، تحقيق مروان العطية وآخرين، ط: ١، بيروت: دمشق دار ابن كثير، ص: ٢٢٩.

وعن محمّد بن سِيرِين قال: «سألت عَبِيدة السّلماني عن تفسير آية؟ قال: اتّق الله وعليك بالسّداد وبالصّواب، ذهب الذّين كانوا يعلّمون في ما أُنزل القرآن»[١].

وقال ابن مجاهد: «قال رجل لأَبِي: أنت الذي تفسّر القرآن برأيك؟ فبَكَى أَبِي، ثمّ قال: إنّي إذَن لجريئٌ، لقد حملتُ التّفسير عن بضعة عشر رجلًا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلّم، ورضي الله عنهم»[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله معلّقًا على هذه الآثار ومبيّنًا جِهتها: "فهذه الآثار الصّحيحة وما شَاكَلَها عن أئمّة السّلف، محمولة على تحرّجهم من الكلام في التّفسير بِمَا لا عِلم لَهُم فيه، فأمّا من تكلّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا؛ فلا حَرَجَ عليه، ولهذا رُوِيَ عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التّفسير ولا منافاة؛ لأنّهم تكلّموا فيما عَلِموه، وسكتُوا عمّا جهِلوه، وهذا هو الواجب على كلّ أحد؛ فإنّه كما يجب السُّكوت عمّا لا عِلم له به، فكذلك يجب القول فيما سُئِل عنه ممّا يعلمه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[٣]، ولِمَا جاء في الحديث الذّي جاء من طرق: « من سُئِل عن علمٍ ثمّ كتَمه، أُلجِم يوم القيامة بِلجام من نار»[٤]"[٥].

قال شيخ أحمد بن عبد الحليم رحمه الله: "وهكذا رَوَى بعض أهل العلم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلّم وغيرهم، أنّهم شدّدوا في أن يفسّر القرآن بغير عِلم، وأمّا الذي رُوِي عن مجاهد وقتادة وغيرهم من أهل العلم: أنّهم فسّروا القرآن، فليس الظنّ بهم أنّهم قالوا في القرآن وفسّروه بغير عِلم، أو من قِبَل أنفسهم، وقد رُوِيَ عنهم ما يدلّ على ما قلنا، أنّهم لم يقولوا من قِبَل أنفسهم بغير عِلم، فَمَن قال في القرآن برأيه فقد تكلّف ما لا عِلم له به، وسلك غير ما أُمر به، فلو أنّه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنّه لم يأت الأمر من بابه، كمَن حكم بين النّاس على جهل فهو في النّار، وإن وافق حكمه الصّواب في نفس الأمر، لكِنْ يكون أخفّ جُرما ممّن أخطأ، والله أعلم، وهكذا سمّى الله تعالى القذفة كاذبين، فقال: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٦]، فالقاذفٌ كاذبٌ، ولو كان قد قذف من زَنَى في نفس الأمر، والله أعلم"[٧].

---

[١]– الخُرَاسَاني، عبد الله بن المبارك، كتاب الزّهد، رقم الحديث: ٢٠٥، ١: ٨٩.

[٢]– السّمَرقَندِي، أبو الليث نصر بن محمّد الحنفي، بَحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، ط: ١، بيروت: دار الفكر، ١: ٣٦.

[٣]– سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

[٤]– التّرمذي، السُّنَن، رقم الحديث: ٢٦٤٩، ٤: ٣٨٧، وقال حديث حسن.

[٥]– ابن كثير، الحافظ عماد الدّين إسماعيل بن عمر، ١٩٨٤م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق د.محمد إبراهيم البناء، وزميليه، ط: ١، إستنبول: دار قهرمان، ١: ١٣١.

[٦]– سورة النور، الآية: ١٣.

[٧]– أحمد بن عبد الحليم، ١٣٩٨هـ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرّحمن بن محمّد قاسم العصمي النّجدي بمساعدة ابنه محمّد، تصوير، ط: ١، الرّياض: دار الإتفتاء، ١٣: ٣٧١.

وهذا الأحاديث والآثار تؤكّد أنّ التّفسير الشّخصي للنصّوص القرآنيّة دون معرفة يحمل مسؤوليّة كبيرة، ويضع الإنسان في موقف من المخالفة الشرعيّة، ويعدّ هذا الفعل من أخطر الذّنوب لِمَا يترتّب عليه من تحريفٍ لِمَعاني الوحي، ويُشير هذا التّحذير إلى خطورة اتّخاذ الرّأي الشّخصي في النّصوص الشرعيّة دون دليل عِلمي، لِمَا له من أثر مباشر على العقيدة والسّلوك.

المبحث الثاني: نشأة ظاهرة الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا:

إنّه من العادات القديمة لأهل بِلاد الهَوْسَا والتّي لا زالت إلى يومنا هذا إقامة مجالس التّفسير في شهر رمضان المبارك، لِمُدارسَة كتاب الله تعالى، وتذكير النّاس بِربّهم، ودعوتهم إلى تدبّر كلام الله تعالى، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويرجع بعض المؤرّخين بدايات هذا العمل إلى عهد أَمِيرُ كَنُو عَلِيّ يَاجِي[١]؛ الذي حكم في الثالث عشر الميلادي، وذلك عند نزول وفد قبيلة وَنغَرا حَيّ مَدَابُو بقيادة الشّيخ عبد الرّحمن الزّيتي، فقد وضعوا عصا التّرحال في مدينة كَنُو عندما لَمسوا كرما أصيلًا عند قبائل الهَوْسَا، وزادهم شوقًا إلى البقاء في هذه المنطقة ما رأوه من حبّ أهلها للإسلام، ورغبتهم في تعلّمه، فقام زعيم هذه الجماعة بالدّعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه بين هذه القبيلة، واتّخذ لدعوته إلى الله طريقة تفسير آيات من كتاب الله، وبخاصة ما يتعلّق منها بالإيمان بالقضاء والقدر والأحاديث الشريفة التي تبشّر المؤمنين بالجنّة[٢].

وفي عَهْدِ السُّلطان بَاوَا بن مُحمّد رُمْفَا[٣] (١٦٦٠–١٧٠٠م) وفد إلى كَنُو داعية إسلاميّ يُدعى: الشّيخ عَبدُ الله، ومنذُ وصوله جعل شغلَه الشاغل تفسير القرآن الكريم، يقوم بذلك دبر صلاة الصبّح في كل يوم، حتى استفحلّ أمره وتعاظم ذِكره، وسمع به السّلطان،

---

[١]– أمير كَنُو عَلِيّ يَاجِي هو حاكم مسلم شهير لإمارة كَنُو بشمال نيجيريا الحالية، حكم الفترة ما بين ١٣٤٩–١٣٨٥م. يُعتبر من أبرز الشخصيّات التي أسهمت في نشر الإسلام وتثبيته في المنطقة، حيث انتشر الدّين الإسلامي بشكل واسع في عهده، كما يُعزَى إليه تأسيس المدارس القرآنيّة في كَنُو، ويذكر أنّه كان من الحكّام الذين أسهموا في تحويل المنطقة إلى مركز للثّقافة العربيّة والإسلاميّة في إفريقيا، ينظر: جريدة القدس العربي، بتاريخ ١٦ أبريل ٢٠١٦م، بعنوان: مدينة كَنُو النيجيرية: حاضرة ثقافة عربيّة – إسلاميّة وإمارة عباسيّة تُنير إفريقيا، عُثِرتُ على الجريدة عبر الموقع القدس في اليوم الخميس ٩ رمضان ١٤٤٧هـ الموافق ٢٦ فبراير ٢٠٢٦م، الرابط:

https://www.alquds.co.uk

[٢]– ينظر: إسماعيل الحَاجِ إدريس، التّفسير في كَنُو، أطروحة لنيل درجة الماجستير في قسم الدّراسات الإسلاميّة، نيجيريا: جامعة بَايَرُو–كَنُو (١٩٨٦م)، ص: ١٨–١٩؛ وينظر أيضا: إسماعيل الحَاجِ إدريس، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، حياة الشيخ عليّ بن محمّد الكُومَاسِي الكَنَوِي وآثارها، ط: ١، كَنُو–نيجيريا: غِدَنْ دَبِيْنُو للطّبع، ص: ٣٦١.

[٣]– محمّد رُنفَا أحد أبرز سلاطين مدينة كَنُو (في نيجيريا الحاليّة) في مملكة الهَوْسَا، اشتهر بكونه حاكمًا إسلاميًّا قويًّا عزّز نشر الإسلام، وبَنَى قصر "جِيدَانْ رُمْفَا" الشهير، وقام بتوسيع أسوار المدينة، واستشار العلماء في إدارة الدولة، مِمّا أدّى إلى تأليف كتاب: "واجبات الأمراء" كدليل لحكمه. وكان أعظم سلطان الهَوْسَا في كَنُو، عثرة هذه المعلومة من شبكة التواصل الاجتماعي الفيس بوك: يوم الخميس ٩ رمضان ١٤٤٧هـ الموافق ٢٦ فبراير ٢٠٢٦م، الساعة العاشرة صباحا الرابط:

https://www.facebook.com

فطلبه وأكرم وفادته، وأسكنه في قصره المَلِكِي، فبوجوده في قصر السّلطان اكتسبت دروس التّفسير لونًا آخر من الرّفعة والجلال، وحرّك ذلك مشاعر المفسّرين، فشمّروا عن ساق الجدّ في البحث والتنقيب في معاني القرآن الكريم.

ولما قرّر الشّيخ عبد الله بن فُودي رحمه الله ترك الإخوان والأوطان، والرّحلة إلى المدينة النّبوية طلبًا للرّحمة والرّضوان، ووصل إلى مدينة كَنُو، استوقفه أهلها، وطلبوا منه الإقامة عندهم لتعليمهم أمور الدّين، فاستقرّ فيها لفترة من الزّمن، قرأ فيها على أهل كَنُو تفسير القرآن الكريم من أوّله إلى آخره.

وكل هذا وذاك عمل حسن؛ لِمَا فيه من تحقيق قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾[١]، والتأسي برسوله صلّى الله عليه وسلّم الذي كان جبريل يلقاه في أيام شهر رمضان، يُدارسه القرآن كما ثبت في الصّحيحين[٢].

غير أن تلك الظّاهرة الإيمانيّة العلميّة قد أصبحت في الأزمنة الأخيرة يعلوها غُبار كثيف من الجهل، ويُحيط بها سور عال من الهوى والتّضليل، ممّا يُنذر بخطر محدق على إيمان الأمّة واستقامتها، إن لم يتداركها الله تعالى بِلُطفه وفضله.

لقد أصبحت ظاهرة مجالس التّفسير في رمضان في بلادنا ميدانا رحبا لبثّ السّموم القاتلة، ونشر العقائد الفاسدة، والمذاهب المنحرفة، والأفكار الهدّامة، باسم التّفسير وترجمة معاني القرآن العظيم، ويتمّ ذلك بجرأة عجيبة، ومجازفة غريبة، فيها كثير من التّنطع في ترجمة الآيات دون أدنى معرفة بأقاويل المفسّرين وعلماء اللّغة، ودون أيّ اهتمام بتمييز الرّوايات الصّحيحة من السّقيمة، وتصيُّد تأويلات فاسدة لبعض المفسّرين والمؤلّفين، والجهل بتأويلات السّلف الصّالح من هذه الأمّة.

وكان هناك من الفسّرين الذين حباهم الله بسطة في العلم وجرأة في الصدع بالحقّ وكشف الحقائق، وفي مقدّمتهم: العالم المجدّد، وراعد الدّعوة السّلفية في بلادنا فضيلة الشّيخ أبوبكر مَحمُود جُوْمِي المتوفّى سنة ١٤١٢هـ رحمه الله تعالى في ولاية كَدُونَا، والشّيخ عيسى وَزِيرِي أحد مشايخ مدينة كَنُو، وأحد قران الشّيخ محمود جُومِي في الطّلب، كان الجوّ الدّيني والعِلميّ آنذاك يتّسم بنوع من الموضوعيّة، فَلَمْ يكثر يومَها الخائضون في كلام الله بغير عِلم، وإن كان يوجد منهم طائفة، لكنّ الأمر لم يستفحل استفحاله اليَوم.

وقد كتب الشّيخ أبوبكر محمود جُومِي[٣]–عميد الدّعوة السّلفية في نيجيريا–رحمه الله– قديما مذكّرة بعنوان: "تهافت المفسّرين" حذّر فيها من هذا المنزلق الخطير، ونبّه على ما ينشره كثير من المتصدّرين للتّفسير من الإسرائيليات والقِصص الواهيات، وفي بعضها نيل

---

[١]– سورة البقرة، من الآية: ١٨٥.

[٢]– البُخاري، صحيح البُخاري، رقم الحديث: ٦، ١: ٨؛ ومُسلم، صحيح مُسلم، رقم الحديث: ٢٣٠٨، ٧: ٧٣.

[٣]– الشيخ أبوبكر محمود جُومِي (١٩٢٤–١٩٩٢م) هو عالم دين الإسلام، وهب عمره لخدمة مسلمي غرب إفريقيا، شغل منصب قاضي قضاة المنطقة الشمالية بنيجيريا في الفترة من ١٩٦٢م إلى أن ألغى المنصب سنة ١٩٦٧م. مؤسس جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، وعضو المجلس الأعلى لشؤون المساجد، والمجمع الفقهي بمكة، وعضو رابطة العالم الإسلامي بمكة، ينظر: كتاب جائزة الملك فيصل العالمية في خمسة وعشرين عاما، ص: ٧٤–٧٥.

من مقام النّبوة، وطعن في رسل ربّ العالمين، فاستاء لها بعض أولئك، واعتبروها نيلًا لكرامتهم، وانتقاصا لعِلمهم، فردّوها ولم ينتفعوا بما فيها من الحقّ الأبلج الواضح[١].

المبحث الثالث: أسباب فُشوّ الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا:

يرى الباحثان هناك عدّة عوامل وأسباب أدّت إلى فُشّوِ هذه الظّاهرة وتفاقُمِها، منها:

١. ضعف الوازع الدّيني لدى كثير من الخائضين، ولو أنّهم خافوا الله تعالى واتّقَوه لعلِمُوا أن كلام الله هو الأولى بالتّبجيل والتّعظيم، والأجدر بالتّنزيه من العبث واللّعب والخوض فيه بلا عِلم، لكنّهم لم يشعروا بذلك؛ لِمَوت ضمائرهم، وتسلّط الشيّطان عليهم، فراحوا يلعبون بكتاب الله، يُوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غُرورا.

٢. رفعُ العلم وكثرة الجهل، فإن ذلك ممّا أخبر به المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ونصّ عليه من جملة أشراط السّاعة، ولا شكّ أنّ من آثاره السلبية –كما جاء في الحديث –أن يتّخذَ النّاسُ رُؤوسا جُهّالا فيتكلّمون في العِلم فيَضِلّون ويُضِلّون، فلمّا خلت السّاحة عن العلماء العارفين الذّين يبيّنون الحقّ للنّاس، ويكشفون سوءات المتلاعبين بكتاب الله، نُصحًا للأمة وتحذيرًا منهم، وجد أولئك المُتَعَالِمُون جوًّا لنشر أباطيلهم وتسويق بضائعهم المزيّفة من غير نكير[٢].

٣. حُبّ الظُّهور والشُّهرة، وقديمًا قيل: (حُبّ الظُّهور يَقصم الظُّهور)، وهذا حَمَل كثيرا منهم على ارتقاء هذا المرتَقى الصّعب، فلم يَرضوا لأنفسهم بالوقوف عند حدودهم؛ حتّى سوّلت لهم أنفسهم أن يتظاهروا بما ليس عندهم، وأحبّوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، لتنحني لهم الرؤوس إجلالًا، وتعلوَ الأصوات أمامهم تكبيرًا، فاختاروا رضا النّاس بسخط الله، فلم يتورّع أحد منهم أن يتكلّم فيما قد توقّف فيه فحولُ العلماء، ولم يخف أن يخوض في كتاب الله بغير عِلم طلما أن فعله هذا يجلب له الشهرة بين الناس، والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، وإذا تمكن داء الشهرة من النفس أفقدها الصدق مع الله تعالى، كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: «ما صدَق الله عبدٌ أحبّ الشهرة»[٤].

---

[١]– الإِلُورِي، آدم عبد الله، ٢٠١٢م، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، القاهرة: مكتبة وهبة، ص: ٨٥.

[٢]– ينظر: محمّد الثّاني عُمر مُوسى، ١٤٣٤هـ/٢٠٠٥م، التّبصير لمجالس التّفسير، ط: ٢، كَنُو–نيجيريا: مركز الإمام البُخاري للأبحاث والتّرجمة، ص: ١٠١–١٠٢.

[٣]– سورة القصص، الآية: ٨٣.

[٤]– البُخاري، التّاريخ الكبير، رقم الحديث: ١٠٥، ٤: ٣٦٣.

ومن لحقته هذه الآفة–مع إخلاصه–وهو لا يشعر بها، تبصّر بالتّذكير، وأقلع عن العيب بعد التّحذير، يقول الحافظ الذّهبي رحمه الله: "علامة المُخلِص الذي قد يحبّ شهرة ولا يشعر بها: أنه إذا عُوتِب في ذلك لا يحرَد، ولا يبرّئ نفسه؛ بل يعترف، ويقول: رحم الله من أهدى إليّ عُيوبي، ولا يكن معجبًا بنفسه لا يشعر بعيوبها؛ بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داءٌ مُزمنٌ"[١].

٤. التكسبّ بالعلم الزّائف، وذلك لَمّا رأى بعض من لا يتّقي الله أنّ إقامة مجلس التّفسير في شهر الجُود شهر رمضان مهمٌّ لجمع الأموال، والحصول على الصّدقات والزّكوات، وما تجود به أيدي المضطّرين إلى الدّعوات، سعى سعيا حثيثًا إلى اقتحام العقبات، وجدّ بعضهم في التنقلّ بين البلاد، أملًا بالكثير يوم الحصاد، فرضي أن يبيع دينه وتقواه بعرض من الدّنيا قليل، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٢].

٥. ظنّ كثير من الخائضين في تفسير كتاب بدون علم أنّهم يكفيهم أن يطّلعوا على بعض ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللّغات المحليّة، ويقفوا على ترجمة الآيات التي يُلقون تفسيرها على النّاس، ثمّ يخرجون عليهم لِيشرَحُوا تلك الآيات، ويعلّقوا عليها من عند أنفسهم، ويرون أنّهم بهذا الفعل يحسنون صنعًا، ويحسبون أنّهم مهتدون[٣].

ولا ريب أنّ هذا غلط كبير، ومزلق خطير، فإن تلك التّرجمات لا تكفي لإخراج مفسّر لكتاب الله، لأمور منها:

- أنّ كثيرا من تلك التّرجمات إنّما هي في معظمها ترجمات حرفيّة لا تكاد تجلّي معاني الآيات كما ينبغي، بل أحيانًا تشوبها أخطاء فادحة لا ينتبه لها إلا من أُوتي حظّا في العلم.
- أنّ شروط المفسّر وأدواته، ليست محصورة في فهم الألفاظ القرآنيّة فحسب؛ بل يشترط فيه تفهّم مراد الله تعالى من تلك الألفاظ، ولا يمكن الكشف عن مراده إلا من خلال السنّة النبويّة الصحيحة، وأقاويل السّلف، والأئمّة المفسّرين، وأمّا التّرجمات الموجودة فالغرض منها: نقل نصوص القرآن الكريم من لغته العربيّة إلى لغات أخرى، ليتسنّى لمن لا يُتقن اللّغة العربيّة أن يتفهّم ولو شيئا يسيرا مِمّا في هذا الكتاب العزيز.
- أنّ هناك فرقًا كبيرًا بين التّرجمة والتّفسير، والمجالس المنتشرة إنّما هي في التّفسير، وليست لمجرّد نقل التّرجمات الحرفيّة، والأغاليط الفادحة، والآثار السيّئة التي نتحدّث عنها أكثر ما تحدث من جهة التّفسير والشرح، لا من جهة ترجمة الألفاظ.

٦. فساد السياسيّين، فالسّياسة قد أصبحت في يومنا هذا رمزا للكذب والرياء، ودثارا للفساد والانحلال حتى صارت كلمة السياسة كأنّها مرادفة لهذه المعاني ولغيرها من سوءات الحياة[٤].

---

[١]– الذّهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان، ١٤١٠هـ، سِيَر أعلام النّبلاء، تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط: ٧، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ٧: ٣٩٣.

[٢]– سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

[٣]– ينظر: محمّد الثّاني، التّبصير لمجالس التّفسير، ص: ١٠٤–١٠٥.

[٤]– المَنفَلُوطِي، الأديب مصطفى لطفي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، النَّظَرَات، ط: ٢، بيروت: الدرا النّموذجية للطّباعة والنّشر، ص: ٥٦–٥٧.

ولَمّا رأى السّاسة أنّ الدّين عامل قوي في التّحكم بمشاعر العامّة، وجرّهم إلى حزب سياسيّ معيّن، أو شخصيّة معيّنة، ركبوا هذه الموضة، وحاولوا إظهار أنفسهم بصفة المناصرين للدّين، العاملين في نشره، وكان شهر رمضان سوقًا رائجة لَهُم لإظهار هذا الكذب في صورة الصّدق، والسّياسة الخبيثة في لباس الدّين الطّاهر، فانطلق كلّ واحد منهم أن يختار من أولئك المتَمَشيَخين من كان يستعمله في الدّعاء له للوصول إلى كرسي الفساد، ومنصّة الرّشوة والظلم؛ بل أحيانًا يكون المتمشيخ من المشعوذين الضّالين، فيشتري له ساعات البثّ في إذاعة أو أكثر لنشر الفوضى والعقائد المنحرفة باسم التفسير، فيَبُوء بإثمه وإثم من ضلّ بسببه.

٧. ضعف المستوى العلمي لدى أكثر النّاس، وغياب المعايير الصّحيحة لديهم لتقييم النّاس، فتوهمّوا أنّ كلّ إنسان عليم اللّسان، فصيح المقال، أخّاذ بمشاعر النّاس إن تكلم، جهوريّ الصّوت إذا خطب، أنّه من أولي العلم والأبصار، فالتفّوا حوله ورفعوه إلى مصاف العلماء، فاغترّ بذلك وجاهر بالأقوال العفنة، ولم يتورّع عن اللّعب بكتاب الله[١].

المبحث الرابع: نماذج الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا:

تتنوّع مظاهر الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا بين تيّارات تُنكر السنّة، وأُخرى تتبنّى تفسيرات متشدّدة تخدم أجندات عنيفة، وهو ما حذّر منه العديد من العلماء. فيما يلي أبرز النماذج لهذه الظاهرة:

١– منهج "القرآنيين": تفسير النّص بمعزل عن السنّة، مثل تيّار صالح إدريس في ولاية كَنُو، وعثمان دَانْغُونْغُو في ولاية كَدُونَا، وتحيى مَسُسُّكَا في ولاية كَتسِينَا، تعتمد هذه الفرقة تفسيرًا محرّفًا للقرآن يرفض الأحاديث النّبوية. ومن أمثلة خوضهم في آيات الله بغير علم:

أ– تفسير وقت الإفطار: يفسّرون قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٢]، بأنّ الإفطار لا يكون إلا بدخول الظّلام الدّامس، معتبرين أنّ الإفطار عند المغرب يُبطل الصّيام، وهو ما يخالف السنّة الصّحيحة وإجماع المسلمين.

٢– التّوظيف الأَيدِيُولُوجِي المتطرّف "جماعة بُوكُو حَرَام": تعتمد الجماعة على تفسيرات انتقائية للنّصوص الدينيّة، لتبرير العنف وتكفير المجتمع. مثل:

أ– تحريم التّعليم والعمل الإداري بناء على تفسير خاطئ لمفهوم "الحاكمية، والولاء والبراء"، خاضت الجماعة في آيات الله لتحريم التّعليم الغربيّ والعمل بمؤسّسات الدّولة، ووصفته بالشّرك.

ب– التكفير بالمعصيّة؛ وذلك في استخدام آيات الوعيد للخوض في دماء المسلمين وتكفيرهم لمجرّد مخالفتهم لمنهج الجماعة، متجاهلين شروط التكفير وضوابطه الشرعية.

---

[١]–ينظر: محمّد الثّاني، التّبصير لمجالس التّفسير، ص: ١٠٨.

[٢]–سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

ت- تفسير آيات الجهاد خارج سياقها الشرعي لتبرير العنف، حيث فسّروا نصوصًا دينيّة تفسيرًا منحرفًا لخدمة أفكارهم.

٣- استغلال الآيات لأغراض سياسية خلال الحملات الانتخابية في نيجيريا، وذلك بتوظيف بعض السياسيّين أو أنصارهم آيات قرآنيّة لتبرير مواقف حزبية، أو مهاجمة الخصوم دون فهم صحيح للسّياق الشرعي، مثل ما يفعله أهل حزب APC, PDP, NNPP, وغيرها من الأحزاب السياسيّة.

٤- من لا يستندون إلى أيّ كتاب أو أصل معتمد في تفسيرهم؛ بل يعتمدون على أرائهم وأهوائهم، يفسّرون الآيات بطرق غير مسبوقة، ويفسّرون كلام الله تعالى بما لا يحتمله النّص، فيحرّفون المعاني لتتوافق مع توجيهاتهم الباطلة، ومع ذلك تراهم يتفاخرون بعدم الاعتماد على كتب أو أصول. هذا الصنف يسعى لنشر أفكار منحرفة وتحريف كلام الله عن موضعه مثل: ما يفعله المتعالم عبد الجبّار ابن ناصر كَبَرَ في مجلس تفسيره بولاية كنو المسمى بـ"جَوفُ الفَرَى"[١].

٥- التفسير السطحي عبر وسائل التواصل، ظهرت فئة من الشباب –بفضل تيسير التقنية والانفتاح الرّقمي– تتصدّر للكلام في معاني القرآن وتفسيره عبر وسائل التّواصل الاجتماعي، معتمدة على ثقافة سطحية، أو ترجمات مغلوطة، أو اجتهادات شخصيّة لا تستند إلى منهج علمي راسخ. يفتح أحدهم الكاميرا، ويتحدّث بثقة مفرطة في تفسير آيات عظيمة، دون الرجوع إلى أمّهات كتب التّفسير، أو أقوال السلف الصالح، أو ضوابط اللّغة العربية التي لايُفهم القرآن إلا بها. بل إنّ بعضهم يُخضع معاني الآيات لهواه، ويُسقطها على الواقع إسقاطا متكلّفًا مضلّلا، ممّا يؤدّي إلى اضطراب المفاهيم، وبلبلة في فهم الدّين لدى عامّة النّاس[٢].

المبحث الخامس: آثار الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا:

وقد يتولّد من هذه الظّاهرة آثار سلبية مريعة، تنذر بخراب سوق العلم، وتهدّد مستقبل الإسلام بالفساد والبدع، فمن آثارها السيئة:

١- نشر الكذب والقول على الله بلا علم؛ وهو محرّم شرعًا بنصّ القرآن، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وجعل الله تعالى القول عليه بلا علم من اتّباع خطوات الشيطان، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

[١]- ينظر: الدّكتور محمّد الثّاني عمر موسى، مجالس التفسير في نيجيريا إلى أين؟!، (مجلة قراءات إفريقية، الرياض، العدد السادس ١٤٣١هـ). ص: ٧-١٠.

[٢]- ينظر: يوسف عثمان، تفسير القرآن الكريم في مدينة كَنُو النيجيرية وجهود أبرز أعلامه في العصر الحاضر، (مجلة قراءات إفريقية، الرياض، العدد السابع ١٤٤٧هـ). ص: ١٠.

[٣]- سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]، كما نهى عنه في قوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٢].

٢- إسقاط هيبة القرآن الكريم من النّفوس، فإذا كان كلام الله تعالى هو الفنّ الذي لا يخضع عند هؤلاء لأيّ قانون، ولايتّبع أيّ ضابط أو قاعدة، فإن ذلك يجرّئ النّاس على الخوض في بيان مراد الله بدون علم ولا هُدى ولا كتاب منير.

٣- مدّ المخالفة، وامتداد رواقها، وانتشارها في الاعتقاد، والأقوال، والأعمال، فإنّ هؤلاء إذا كانت في متناول كلّ لاقط، آلت بالأمّة إلى أسرها بأغلالٍ ما أنزل الله بها من سلطان[٣].

٤- فُشُوّ الشّبهة، ومداخلتها لاعتقاد الحقّ، وتلعّبها بالقلوب، كتلعبّ الأفعال بالأسماء، وبالتّالي تحريك العقيدة الحقّة عن مكانها بعد ثباتها، فيضعف الاعتقاد السليم ويضعف سلطانه[٤].

٥- هجران كثير من هؤلاء الخائضين تعلّم هذا العلم بأصوله، والإعراض عن مجالسة العلماء العارفين بقواعده، لاعتقادهم أنّ الخوض فيه أمرٌ سهل لا يتطلّب عناء التعلّم ولا يحتاج إلى مشقّة البحث، وهذا الظنّ مع وضوح فساده مخالف لهدي علماء سلف هذه الأمّة الذين عنوا بالبحث عن معاني القرآن الكريم عناية فائقة النظير، ويصوّر ذلك ما يلي:

عن عُبيد بن حنين أنّه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يحدّث أنّه قال: «مكثتُ سنة، أريد أن أسأل عمر بن الخطّاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتّى خرج حاجًّا فخرجتُ معه، فلمّا رجعتُ، وكنّا ببعض الطّريق عدل إلى الأراك لحاجة له، فوقفت له حتّى فرغ، فقلت: يا أمير المؤمنين: من اللّتان تظاهرتَا على النّبي صلّى الله عليه وسلّم من أزواجه؟ فقال: تلك عائشة وحفصة»[٥].

وعن الشعبي رضي الله عنه قال: «رَحَلَ مسروق في آية إلى البصرة، فسأل عن الذي يفسّرها وأُخبر أنّه بالشّام، فقدم الكوفة فتجهّز، ثم خرج إلى الشّام، حتّى سأل عنها»[٦].

وأخرج أيضًا عن عبد الله بن بُريدة، عن رجل من أصحاب النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لو أنّي أعلم إذا سافرتُ أربعين ليلة أعربتُ آية من كتاب الله لفعلتُ»[٧]، ومعنى الإعراب: البيان والتّفسير.

---

[١]- سورة البقرة، الآية: ١٦٨-١٦٩.

[٢]- سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

[٣]- محمّد الثّاني، التّبصير لمجالس التّفسير، ص: ١٠٨-١٠٩.

[٤]- بَكّر عبد الله أبو زيد،١٤١١هـ، الردّ على المخالف من أصول الإسلام، ط: ١، دار الهجرة، ص: ٧٩-٨٠.

[٥]- البُخاري، صحيح البُخاري، رقم الحديث: ٤٩١٣، ٦: ١٥٦؛ ومُسلم، صحيح مُسلم، رقم الحديث: ١٤٧٩، ٤: ١٩٠.

[٦]- البَاجِي، أبو الوليد سليمان بن خلف، ١٤٠٦هـ، التّعديل والتّرجيح لمن خرّج له البُخاري في الجامع الصّحيح، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، ط: ١، الرّياض: دار اللواء، ٢: ٧٤٧.

[٧]- السّيوطِي، جلال الدّين أبوبكر بن عبد الرّحمن، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، ط: ١، بيروت-لبنان: دار الفكر، ٢: ٤٦٥.

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[١]: «طلبتُ اسم هذا الرّجل الذي خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله أربع عشرة سنة حتى وجدّته»[٢].

وهذه النّصوص وأمثالها دليل على اهتمام السّلف بطلب علم التّفسير وتعلّمه من ذويه مهما كلّفهم ذلك صعوبة وعناء، قال شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم: " من فسّر القرآن أو الحديث وتأوّله على غير التّفسير المعروف عن الصّحابة والتّابعين فهو مُفتر على الله، مُلحِد في آيات الله، محرّف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزّندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالإضطّرار من دين الإسلام"[٣].

٦- تعميق الفرقة بين الأمّة الإسلامية، وتمزيق وحدتها، بإحداث أقوال فاسدة، ونشر الفوضى باسم العلم، مِمّا يؤدّي إلى وجود مقالات بِدعيّة جديدة تضاف إلى رصيد ما تعاني منه الأمّة من المقالات المنحرفة القديمة[٤].

المبحث السادس: وسائل محاربة الخوض في آيات الله بشمال نيجيريا:

تَكمُن وسائلُ محاربة هذه الظاهرة، وإزالتها أو التّقليل منها فيما يلي:

١. إقامة الدّورات والملتقيات والنّدوات العلميّة التي تتناول الحديث عن التّفسير وأصوله، والمؤلّفات فيه، وخطورته، وأدوات المفسّر وشروطه، يقوم بتنفيذها علماء أو طلاب علم متخصّصون في هذا المجال، عارفون بخفاياه وغوامضه، يدعى لحضوها كافّة الدّعاة، وتُبثّ عبر وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة، ليعلم من لا يعلم أنّ هذا العلم ليس سهل المرتقى، بحيث يدخله من يشاء كما يشاء.

٢. مزيد الاهتمام والعناية بفنّ التفسير ومتعلّقاته، وذلك بتخصيص حلقات علميّة في هذا الفنّ الجليل، كي يتخرّج جيل من الدّارسين عارف بكتاب الله تعالى، ومراد الربّ سبحانه وتعالى، حتّى يقوموا بحاجة الأمّة إلى تفهيمها كتاب ربّها جلّ وعَلَا، ويسدّوا الطّريق أمام الخائضين، ولا يكتفي العلماء بدروس التّفسير العامّة؛ إذ إنّ سبيل ذلك توعية العامّة أكثر من تحقيق مسائل التفسير ودقائقه التي لا يعقلها إلا النّابهون من طلبة العلم الشرعي[٥].

٣. نشر الوعي بين النّاس، وتحذيرهم من السّماع إلى كل متحدّث باسم العلم، إحياء لمنهج المتقدّمين: (لا تأخذ العلم إلّا عمن تعرف)، و(نبذ أحاديث المجاهيل الذين لم يشهد لهم بالعلم والمعرفة)، ولا سيما في أيام شهر رمضان المبارك.

---

[١]- سورة النساء، الآية: ١٠٠.

[٢]- القُرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد، ١٣٧٢هـ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط: ٣، القاهرة: دار الشعب، ١: ٢٦.

[٣]- احمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ١٣: ٢٤٣.

[٤]- ينظر: محمّد الثّاني، التّبصير لمجالس التّفسير، ص: ١١٣.

[٥]- ينظر: محمّد الثّاني، التّبصير لمجالس التّفسير، ص: ١١٤.

٤. توعية السياسيّين والمسؤولين وأصحاب الدّثور، وتذكيرهم بالله تعالى، وإعلامهم بخطورة الإعانة على نشر الفساد والكذب بين النّاس، وأنّ من فعل هذا بآء بإثمه وإثم من عمل به إلى يوم القيامة، وتوجيههم إلى تسخير قُدراتهم المادّية والسياسيّة في خدمة برامج دينيّة أخرى تنفع المسلمين، ويُكتب لهم الأجر عند الله تعالى.

٥. شراء ساعات البثّ لبعض الدّعاة البارزين في مجال تفسير القرآن الكريم، وتخيّر أوقات البثّ المناسبة، ليعلم النّاس بين بَلَجِ الحق ولَجَاجة الباطل، بين نور العِلم وبين ظلمات الجهل، لأنّ فضيلة الشيء تُعرف بضدّه[١].

الخاتمة:

هذا، وإلى هنا انتهي ما رمتُ جمعه من ظاهرة الخوض في آيات الله بغير علم بشمال نيجيريا: الأسباب والآثار، وتوصّلت الدّراسة إلى جملة من النّتائج أهمّها ما يلي:

١. إن الله تعالى حرّم في كتابه الكريم الخوض في آيات الله والقول عليه بِلا علم، وأمر بالإعراض عن الخائضين حتّى ينتهوا من فعلهم الشنيع.

٢. إنّ ظاهرة الخوض في آيات الله بغير علم بشمال نيجيريا نشأت وازدهرت في الآوانة الأخيرة.

٣. إنّ ضعف الوازع الدّيني، والتكسبّ بالعلم الزائف، وفساد السياسيين، وضعف المستوى العلمي، وغياب المعايير الصحيحة، من أهمّ العوامل والأسباب التي أدّت إلى فُشّوِ هذه الظاهرة وتفاقُمِها.

٤. إنّ الخوض في آيات الله من أخطر التّحديات الفكريّة المعاصرة، لِمَا لها من آثار سلبية على العقيدة والمجتمع، وأنّ علاجها يتطلّب تضافر الجُهود العلميّة والدّعوية والتّربويّة.

٥. إن آثار هذه الظاهرة تنذر بخراب سوق العلم، وتهدّد مستقبل الإسلام بالفساد والبدع والخرافات.

التوصيات والاقتراحات:

١. إقامة الدّورات والملتقيات والنّدوات العلميّة التي تتناول الحديث عن التّفسير وأصوله، والمؤلّفات فيه، وخطورته، وأدوات المفسّر وشروطه، يقوم بتنفيذها علماء أو طلّاب علم متخصّصون في هذا المجال، عارفون بخفاياه وغوامضه.

٢. توعية السياسيّين والمسؤولين وأصحاب الدّثور، وتذكيرهم بالله تعالى، وإعلامهم بخطورة الإعانة على نشر الفساد والكذب بين النّاس.

٣. شراء ساعات البثّ لبعض الدّعاة البارزين في مجال تفسير القرآن الكريم، وتخيّر أوقات البثّ المناسبة.

[١]– ينظر: محمّد الثّاني، المصدر السابق، ص: ١١٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمّد الكوفي، المصنّف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط: ١، الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ.

٢. ابن كثير، الحافظ عماد الدّين إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: د.محمّد إبراهيم البناء، وزميليه، ط: ١، إستنبول: دار قهرمان، ١٩٨٤م.

٣. إسماعيل إدريس حسن، حياة الشيخ علي بن محمّد الكُومَاسِي الكَنَوِي وآثارها، ط: ١، كَنُو–نيجيريا: غِدَنْ دَبِيْنُو للطّبع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤. إسماعيل الحاج إدريس، التّفسير في كَنُو، أطروحة لنيل درجة الماجستير في قسم الدّراسات الإسلامية، نيجيريا: جامعة بَايَرُو–كَنُو، ١٩٨٦م.

٥. الإِلُورِي، آدم عبد الله، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٢م.

٦. أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمّد قاسم العصمي النّجدي بمساعدة ابنه محمّد، تصوير، ط الرياض: دار الإتفتاء ١٣٩٨هـ.

٧. أحمد بن عبد الحليم الحرّاني، ٢٠٠٥م، مقدّمة في أصول التّفسير. تحقيق: مساعد بن سليمان الطيّار، ط: ١، القاهرة: دار ابن الجوزي.

٨. البَاجِي، أبي الوليد سليمان بن خلف، التّعديل والتّرجيح لمن خرّج له البُخاري في الجامع الصّحيح، تحقيق: د. أبو لُبابة حسين، ط: ١، الرياض: دار اللّواء ١٤٠٦هـ.

٩. البُخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم، التّاريخ الكبير، تصحيح: عبد الرّحمان بن يحيى المعلمي اليماني، تصوير دار الفكر، عن الطبعة الهندية.

١٠. البُخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله، صحيح البخاري، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلميّة، والقاهرة: طبعة دار الحديث، مصوّرة من مطبوعة النّسخة اليونينيّة، بتقديم الشّيخ أحمد شاكر.

١١. بكر عبد الله أبو زيد، الردّ على المخالف من أصول الإسلام، ط: ١، دار الهجرة، ١٤١١هـ.

١٢. التّرمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة، السُنَن، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، وكمال يوسف الحوت، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلميّة ١٤٠٨هـ.

١٣. الخراساني، عبد الله بن المبارك، كتاب الزّهد، تحقيق: أحمد فريد، ط مصر: الإسكندريّة دار السلفيّة، ١٤١٩هـ.

١٤. الذّهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النّبلاء، تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط: ٧، بيروت: مؤسّسة الرّسالة ١٤١٠.

١٥. السّمرقندي، أبو اللّيث نصر بن محمّد الحنفي، بَحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، ط بيروت: دار الفكر.

١٦. السيّوطي، جلال الدّين أبوبكر بن عبد الرّحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، ط: ١، بيروت: لبنان دار الفكر ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٧. الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط: ٥، بيروت: دار الفكر ١٤٠٥هـ.

١٨. القُرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط: ٣، القاهرة: دار الشعب ١٣٧٢هـ.

١٩. المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد النحوي، الكامل في اللّغة والأدب، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلميّة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٠. محمّد الثّاني عمر مُوسى، التّبصير لمجالس التّفسير، ط: ٢، كَانُو–نيجيريا: مركز الإمام البُخاري للأبحاث والتّرجمة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢١. محمّد الثّاني عمر موسى، مجالس التفسير في نيجيريا إلى أين؟!، *مجلة قراءات إفريقية*، الرياض، العدد السادس ١٤٣١هـ.

٢٢. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القُشيري، صحيح مسلم، ترقيم: محمّد فؤاد عبد الباقي، ط: ١، القاهرة: دار الحديث ١٣١٢هـ.

٢٣. المنفلوطي، مصطفى لُطفي، النّظرات، ط٦، بيروت: الدّر النّموذجيّة للطّباعة والنّشر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٢٤. النَّنْغِرِي، الدّكتور آدم عثمان آدم، التّفسير في شمال نيجيريا نشأتُه وتطوّره من القرن الثّاني عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، ط: ١، نيجيريا: جامعة أحمد بَلُّو زَارِيَا، ١٣٣١هـ/٢٠١٩م.

٢٥. الهروي، أبو عبيد القسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية وآخرين، ط: ١، بيروت: دمشق دار ابن كثير ١٤٢٠هـ.

٢٦. يوسف عثمان، تفسير القرآن الكريم في مدينة كَنُو النيجيرية وجهود أبرز أعلامه في العصر الحاضر، *مجلة قراءات إفريقية*، الرياض، العدد السابع ١٤٤٧هـ.

٢٧. جريدة القدس العربي، بتاريخ ١٦ أبريل ٢٠١٦م، عنوان المقالة: مدينة كَنُو النيجيرية: حاضرة ثقافة عربيّة–إسلاميّة وإمارة عباسيّة تُنير إفريقيا.

المواقع الالكترونية:

١. https://www.alquds.co.uk
٢. https://www.facebook.com